إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة السادسة ـ العدد الثانی والعشرون ـ صيف ١٣٩٥ش/حزيران ٢٠١٦م
صص ١٤٠ ـ ١١٧

تجلّيات النظريّة النسويّة فی رواية "سووشون" للروائيّة الإيرانيّة سيمين دانشور

علی جعفر جعفر*

الملخص

سيمين دانشور هی أوّل روائيّةٍ إيرانيّة فی الأدب الفارسیّ وقد وضعتها روايتها "سووشون" الشهيرة، إلی جانب عمالقة الكتّاب والرّواة الإيرانيّين حيث كتبتها بنظرة أنثويّة لا تبارح الذاكرة، كما تُعدّ "سووشون" أوّل روايةٍ تُكتب وتُنشر بقلم امرأةٍ باللغة الفارسيّة. ولطالما كانت المرأة فی الرواية الإيرانيّة ضحيّة الذكوريّة. كانت سيمين دانشور وبطلة روايتها كلتاهما أنثی، الشیء الذی لم تعهده الرواية الإيرانيّة من قبل.كذلک كرّست دانشور نفسها لإبراز المكنونات النسويّة عبر لسان بطلة روايتها وبذلک شكّلت منظوراً نسويّاً لم تعهده الساحة الإيرانيّة. لهذا؛ وقع اختيارنا علی نجمة ساطعة فی سماء الأدب النسویّ الإيرانیّ، لنقتفی فی "سووشون" النظريّة النسويّة وتجلياتها.

صوّرت رواية سيمين دانشور حِقبة الاحتلال البريطانیّ وعملائه وتحوّلات جنوبی إيران إبّان الحرب العالميّة الثانية بشكل رائع ومتسلسل. كما استمدّت دانشور شخصية الأنثی فی روايتها من حياتها الواقعيّة، فما حصل لبطلة الرواية وعائلتها قد حصل لإيران وشعبها. وبذلک حطّمت دانشور من خلال رواية "سووشون"، النظرة التقليديّة للمرأة من خلال تجسيدها للنسويّة المتمرّدة فی شخصية بطلة الرواية وتحوّل شخصيتها من خانعة إلی مقاومة وشجاعة، وأيضاً وضعت اللبنة الأولی للأدب النسویّ. فضلاً عن ذلک أثبتت دانشور فی "سووشون" أنّ الجنس النسویّ قادرٌ علی أنْ يقف إلی جانب الرجل فی الذود عن حياض الوطن كما هو قادرٌ علی حمل لواء المبارزة و إنجاب المقاتلين.

الكلمات الدليليّة: سيمين دانشور، سووشون، المرأة، النسويّة، الأنثويّة.

---

*.طالب مرحلة الدكتوراه فی اللغة الفارسيّة وآدابها بجامعة طهران، إيران.
jaafarali29@yahoo.com

تاريخ الوصول:١٣٩٥/١/١٧ش تاريخ القبول: ١٣٩٥/٦/١ش

المقدّمة

فى الماضى الغابر لم تكن المرأة محطّ اهتمام ولذلك كان الرجال يكتبون للرجال فقط. لذلک لا يُعدّ الحديث عن المرأة ووجهات نظرها بالأمر اليسير لكنّه فى المقابل قيّمٌ تحتاج إلى تعمّق ودراسة. فالمرأة كانت بمثابة موجود يختزل جميع ميزات الإنسانيّة فى وجوده، كما كانت من أهمّ قضاياه. (فقهى زادة، ١٣٧٨ش: ٩) كما كانت الضغوط التى تُمارس على المرأة من قِبل المجتمع تتسبّب فى تقوقع المرأة داخل إطار نفسها وتلجأ إلى الكتابة كوسيلة لكسر عزلتها المفروضة عليها والانصهار فى مجتمعها والإفصاح عن مكنونات صدرها ونفثاته. وفى هذا الخضم تُعد الأعمال الأدبية بمثابة إعلانٍ عن ذات مؤلِّفيها، وبناءً على ذلک فإنّ كتابات المرأة هى امتدادٌ وجودى لذات الكاتبة. حيث تُتيح الرواية الفرصة للكاتبة كى تكشف لنا عن هويتها من خلال استعراضها لأفكارها المنبثقة من بيئتها الثقافيّة والاجتماعيّة.

فضلاً عن ذلک، قضية المرأة بشكل خاص والنسويّة بشكل عام، هى قضية التطور الإنسانىّ نحو قيم إنسانية عالية؛ فتحرر المرأة هو مقياسٌ لتحرّر الإنسان وتحرير فكره. (ناجى، لاتا: ٣٧) ونتيجة الانفتاح والمساحة التى أُتيحت للمرأة ازدهر الأدب النسوىّ الذى هو «الأدب الذى تكتبه المرأة كقاعدة عامّة لأنّها بحسب طبيعتها أقدر على الغوص فى ذلک البعد من حياة المرأة. أمّا الأدباء من الرجال فإنّهم لا يتكلمون عن المرأة بلْ يصوّرون ما يفتقدونه فيها.» (فوزى، ١٩٨٧م: ١٤) حيث أنّهم لا يجدون المرأة قادرة على اتخاذ القرارات ولهذا السبب يحولّونها إلى كائنٍ سلبى ومطيع لأوامرهم وخادم مخلص لعادات وتقاليد المجتمع. ومن هذا المنطلق «جاء أدبها كردة فعل طبيعية للمألوف السلبى المتوارث الذى يخدش حقوقها ويحدّ من حريتها.» (ذوالقدر، ٢٠١١م: ٣٤)

فى هذا المضمار كانت سيمين دانشور الأبرز بين نظيراتها الإيرانيّات فى إثبات النسويّة ودور المرأة الريادى فى المجتمع. حيث تُشكّل روايتها سووشون قفزة نوعيّة فى النظرة إلى الأنثى، الأنثى التى كان يُنظر إلى جسدها فقط، أمّا دانشور فقد حرّرت الأنثى من الذكوريّة ومن القيود المكبّلة بها وأطلقت لها العنان لتساهم فى بناء المجتمع

والدفـاع عنه ولتكون أُمّـاً وزوجة ومناضلة ومقاومة. وتجلّـی ذلک من خلال توظيفا للقيـود المفروضة علـی المرأة علی نحو آخر، وكذلک من خـلال الجمل المفعمة بالبوح الأنثویّ.

من هذا المنطلق نحاول فی هذا البحث الإجابة علی الأسئلة التالية: ١) لماذا اختارت سيمين دانشور بطلة أنثی لروايتها؟ ٢) هل اختارت أنثی لتعبّر عن ذاتها أم كانت بطلة روايتها تمثّل كلّ نسـاء إيران؟ ٣) ما هی الرسـالة التی أرادت سيمين إيصالها إلی بقيّة النسـوة من خلال بطلة القصّة؟ ٤) هل كانت معاناة المرأة فی إيران منعكسـة فی طيّات الرواية وهل نجحت الرواية فی تسـليط الضوء علی المرأة من شـتّی الجوانب وتشكيل النواة الأولی للحركة النسويّة؟

كذلک تكمن أهمّية هذا البحث من خلال دراسة دور المرأة الريادیّ فی ظلّ الاحتلال وانخراطها فی مقاومة المحتل وعدم رضوخها وقد تجسّد ذلک بأنوثة المرأة الكاتبة، حيث وضعت سـيمين دانشور بذلک اللبنة الأولی لشخصية المرأة فی الأدب الفارسیّ الروائیّ الـذی تطوّر لاحقاً علی أيدی الكتّاب الإيرانيّين. إضافةً لذلک فتح هذا البحث الباب علـی مصراعيه أمام صور جمّة عن الظلم والفقر والاحتلال البريطانیّ فی جنوب إيران، كذلک أزاح السـتار عن الطبقة الأرسـتقراطيّة ونهبها لحقوق الآخرين، كما عرّی هذا البحث وهذه الرواية المجتمع وأبرز عيوبه.

بيد أنّ أهميّة هذا البحث تجلّت بوضوح فی إصرار الروائيّة علی رفض النظرة الدونيّة للمرأة والإجحاف بحقّها وتهميشـها والذكوريّة الحاكمة علی المجتمع وإثبات أنّ المرأة هـی كالرجل مقاومة وصانعة للتاريخ، حيث دعت من خلال هذه النظرة إلی مسـاواة الجنسَين ورفض الذكوريّة والتهميش.

الدراسات السابقة

لقد اقتصرت الدراسـات فی اللغة العربيّة حول سيمن دانشور وروايتها "سووشون" علی مقالات شحيحةٍ، هی: «النموذج فی رواية سووشون ورواية الباب المفتوح (دراسة مقارنـة)»، فی العـام ٢٠١٤م، فی مجلّة الجمعيّـة العلميّة الإيرانيّة للغـة العربيّة وآدابها؛

«صورة الذات والآخر فى رواية سووشـون»، فى العام ٢٠١٤م، فى مجلّة دراسـات فى اللغـة العربيّة وآدابها. أمّا روايتها سووشـون فإنّها لم تُترجم إلـى العربيّة بيد أنّه تجدر الإشـارة إلى أنّ مقتطفاتٍ من أعمال سيمن دانشور وردت فى الدراسات التى تناولت الأدب الفارسىّ المعاصر، من ذلک: «تاريخ الأدب الفارسىّ المعاصر» لمؤلفه محمّد جعفر ياحقى وترجمة الدكتورة ندى حسّون.

أمّـا اللغة الفارسـيّة فإنّها تزخر بدراسـاتٍ ومقالاتٍ حول سـيمن دانشـور ولا سـيّما روايتها سووشـون، نذكر منها:«كتابٌ على سـاحل جزيرة الضيـاع»، فى العام ١٣٨٣ش/٢٠٠٤م، لمؤلّفه على دهباشـى؛ «تأمل لحِيرات شـهرزاد مـا بعد الحداثة»، فى العـام ١٣٨٥ش/٢٠٠م؛ لمؤلّفه جواد اسـحاقيان؛ «سووشـون أثرٌ عالمى»، فى العام ١٣٩١ش/٢٠١٢م، فى مجلّة آزما، العدد ٨٧؛ «تحليل رواية سووشون من ناحية العناصر الحماسـيّة»، فى العام ١٣٩٠ش/٢٠١١م، فى مجلّة اللغة والأدب الفارسـّى، العدد ٧٠؛ «دراسـة مفهومَى الموت والحياة فى رواية سووشـون»، فى العام ١٣٩١ش/٢٠١٢م، فى مجلّة الأدب الفارسـّى المعاصر، العدد ٣؛ «عامل الزمان فى رواية سووشـون»، فى العام ١٣٨٧ش/٢٠٠٨م، فى مجلّة الأدب العرفانىّ والأسـطورىّ، العدد ١٠؛ «المدينة الفاضلة فى سووشون»، فى العام ١٣٨٧ش/٢٠٠٨م، فى مجلّة تطوير تعليم اللغة والأدب الفارسىّ، العدد ٨٥.

سيرتها الذاتيّة

وُلدت الكاتبة سيمين دانشور فى شيراز فى العام ١٩٢١م، حيث أتّمت ثانويتها هناک ومن ثمّ سـافرت إلى طهران لمتابعة دراسـتها الجامعيّة، حيث درسـت اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب فى جامعة طهران وتتلمذت هناک على أيدى كبار الأسـاتذة فى ذلک الفرع ونالت فى النهاية شهادة الدكتوراه فى العام ١٩٤٩م. تزوّجت سيمين دانشور فى العـام ١٩٥٠م من جـلال آل أحمد، القـاص الإيرانىّ المعـروف وفى العام ١٩٥٢م حصلت على منحة دراسـيّة فى جامعة سـتانفورد الأمريكيّة ودرست هناک لعامَين فى اختصاص علم الجمال. تعلّمت هناک كتابة القصّة والمسرحيّة. من ثمّ عادت إلى طهران

وعملت بالترجمة كما عملت مدرسّة فى جامعة طهران فى اختصاص علم الآثار وتاريخ الفـن، وتقاعدت فى العام ١٩٧٩م (زادهـوش، ١٣٩٠ش: ١٦) إلى أنْ وافتها المنيّة فى التسعين من عمرها فى العام ٢٠١٢م.

مؤلّفاتهـا: «آتش خاموش» (النـيران الخامدة) فى العام ١٩٤٨م، «شـهرى چون بهشـت» (مدينة كالجنّة) فى العام ١٩٦١م، «سووشون» فى العام ١٩٦٩م، «به كى سلام كنم» (على من أُلقى التحيّة) فى العام ١٩٨٠م، «جزيره سرگردانى» (جزيرة الضياع) فى العام ١٩٩٣م، «از پرنده هاى مهاجر بپرس» (سـل الطيور المهاجرة) فى العام ١٩٩٧م، «سـاربان سرگردان» (الجمّال الحائر) فى العام ٢٠٠١م، إضافة إلى مجموعة من الكتب المترجمة. (دهباشى، ١٣٨٣ش: ١٠١-١٠٩)

رواية سووشون

تدور أحداث الرواية حول "زرى" زوجة "يوسـف" الشـاب الوطنىّ الذى يرفض بيـع المؤن لقوات الاحتـلال الإنجليزىّ وهى امرأة متعلّمة تبـذل كل جهودها للحفاظ علـى عائلتها باعتبارها وطنها الأول، وذلك فى ظروفٍ صعبـة للغاية، وهى كذلك أمٌّ لثلاثة أولادٍ (خسـرو، مينا، ومرجان) وتحمل طفلاً فى أحشـائها. كما تقدم "زرى" دعماً كبيرا لزوجها الإقطاعى يوسف لمقاومة الضغوط التى يواجهها من قبل السلطة الحاكمة والقـوات المحتلة. جُلّ ما تتمنّاه "زرى" فى هذه الرواية هو أنْ تنعم بحياةٍ رغيدة وتعيش هـى وعائلتهـا فى وئامٍ وبعيداً عن المشـاكل. ولكنّ المحن تعصف بهـا ويُقتل زوجها فى النهاية على أيدى قواتٍ الاحتلال الغاشمة فتشـهد شخصيتها تحولاً عظيماً وتُقرّر أنْ لا تكون سلبيّة بعد اليوم فتأخذ بزمام الأمور وتصرّ على تشييع جثمان زوجها رغم مخالفة المحيطـين بها وأعوان الاسـتعمار كما تُقرّر أنْ تُربّى ابنها الأكبر خسـرو على أنْ يأخذ بثأر أبيه.

شخصيات الرواية الرئيسيّة

تتألف الرواية من ٢٣ فصلاً، وتتحدث بلغة نسـويّة، "يا زرى" المرأة الشـابة التى لم

تبلغ الثلاثين من العمر والزوجة التى تساعد زوجها على مقاومة الضغوط التى يتعرض لها بسبب عدم مسايرة سياسة السلطات المحتلة الاستغلاليّة. فى هذه الرواية تلعب "زرى" دور الشخصيّة المحوريّة، والتى كانت تتمتّع بحياةٍ هنيئة وتجهد إلى حفظها بيد أنّ سير الأحداث يضعها فى موقعٍ تختلف فيه بشكلٍ تام عن منزلة المرأة التقليديّة الإيرانيّة. (Sprachman، ١٩٩٣م: ٣٤٧) حيث كانت "زرى" شابة شيرازيّة جميلة المحيّا ورشيقة القوام. وهذه الشخصيّة تتحوّل من شخصيّة خانعة إلى شخصيّة شُجاعة وجسورة بعد اغتيال زوجها يوسف بل مضت هذه الشخصيّة إلى أكثر من ذلک وأخذت على عاتقها مسؤولية مقاومة الاحتلال عبر توعية ابنها الأكبر خسرو على العمل على الأخذ بثأر أبيه.

يوسف: زوج "زرى" المثقّف الذى يأبى بيع المؤنة والقمح للمحتلين والأجانب. فهو رمزٌ للمقاومة حينما كان حيّاً وبعد موته. لقد كانت شخصيّة يوسف واقعة بين أمرَين: «فهو من جهة لا يريد الرضوخ لضغوط القوات المحتلّة والمتحالفين معهم فى الداخل ومن جهةٍ أخرى يتعامل بمودّة مع الفلّاحين والعملة.» (Hillmann، ١٩٨٨م: ٣٠٨)

الملک رستم والملک سهراب: خانان من "القشقائيّين" قد تمّ إغواؤهم من قِبل المحتلين لشراء المؤنة والقمح من يوسف حتّى يشتروا مقابل ذلک الأسلحة ويحاربوا جيش إيران.

الخان كاكا (أبوالقاسم خان): شقيق يوسف وهو مؤيد لإنجلترا وعميل لهم وقد حصل على وظائف ومناصب عبر خدمته الحكّام والأجانب وفى النهاية نرى أنّه وصل لمبتغاه وأصبح مُمثّلاً فى البرلمان.

عزت الدولة: عجوزة أرستقراطيّة ومُتآمرة ولها علاقات مقرّبة من السلطة الحاكمة، وقد كانت شخصيتها مثل شخصية الخان كاكا -شقيق يوسف- العميل للأجانب. طبعاً يكمن كرهها لـ"زرى"، لأنّها لم تصبح عروساً لابنه وتزوجت من يوسف.

السيد فتوحى: شخصية تظهر فى أواخر الرواية وهو معلّم خسرو. كان السيد فتوحى واحداً من الشخصيات المساهمة فى الأحداث الاجتماعيّة لتلک الحقبة، أى أنّه جسّد الحزبيّين وكان له تأثير واضح على شخصية خسرو.

سـينجر: جاسوسٌ إنجليزیّ، ویُعدّ أدهی شخصيّة فی روایة سووشون کما یُعتبر رمزاً للاسـتعمار وقد أزاح سـينجر النقاب عن وجهه الجاسوسیّ بعد مرور ١٧ عاماً، حيث کان قبلها ممثّلاً لشـرکة لآلات الخياطة. حيث يرسـل سينجر مبعوثاً إلی يوسف لشراء فائضه من القمح بسـعرٍ باهظ، بيد أنّ يوسف يأبی ذلک ويثير يوسف بعمله هذه الناس الجوعی علی المقاومة: «هم ليسـوا بحاجة لقمحک ومؤنتک، لکنّهم يخشـون أنْ تُقلّب الرأی ضدّهم.» (دانشور، ١٣٤٨ش: ٢٥١)

مک ماهون: شـاعر ومراسـل إيرلنديّ کان يعمل فی الجيش البريطانیّ وکان يحمل أفکاراً کأفکار يوسـف و"زری" لأنّ بلده کان مسـتعمراً أيضاً. حيث يعمل سينجر علی الاسـتفادة منه فی إقناع يوسـف ببيع القمح لهم، لکنّه أيضاً يأبی: «نحن أقرباء، صحيح؟ إيران وإيرلندا، کلاهما بلد الآريّين. أنتم الأجداد ونحن الأحفاد.» (المصدر نفسـه، ١٣) فی آخر الروایة يکتب مک ماهون مُعّزياً "زری" فی استشـهاد زوجها يوسف قائلاً: «لا تبکی أختاه، سـتنبت شـجرةٌ فی بيتک وأشـجارٌ فی مدينتک والعديد من الأشـجار فی بلدک. وسـتوصل الرياح رسالة کلّ شجرة إلی الأخری وستسأل الأشجار الرياح: هل رأيت سحر (الحصان) فی طريق مجيئک؟» (زادهوش، ١٣٩٠ش: ١١٠)

الحکيمة: طبيبة تعالج المرضی بالمجان فی مستشـفی مرسلين الإنجليزیّ، حيث کانت الغاية مـن تقديم الخدمات العلاجيّـة المجانيّة هو حفظ بريطانيـا منزلتها لدی الناس والتغرير بهم. وقد تجلّی ذلک فی ردّ الحکيمة علی "زری" بعد استشـهاد زوجها عندما قالـت "زری" «ليتکـم تموتون، فتزمّـرت الحکيمـة وقالت: أهذا هو جـواب الخدمة والتضحيـة؟ إنّنا نعمل فی مدينـة نائية وفی طقسٍ جاف، وبعيداً عـن الأهل، والأدوية والعلاج مجّانی.» (دانشور، ١٣٤٨ش: ٢٤٧)

مديرة المدرسة: امرأة عنيدة وصعبة المراس حيث کانت تطلب من الطالبات الطاعة العمياء وقد کانت تعارض الآداب الإسلامية کالحجاب والصوم. کما کانت المديرة تلوم دائماً الطالبات لعدم معرفتهنّ بالحضارة وآداب المعاشرة وأنّ الإنجليز هم المتحضرون.

تبدأ الروایة بمشـهد حفلة زفاف ابنة حاکم شـيراز، حيث تجری الأحداث فی بداية الحـرب العالميّة الثانية، فی جنوبی إيران، المنطقة التی دخلها الإنجليز قبل زمن الروایة،

بيـد أنّهم تقهقروا منها، ثمّ مـا لبثوا أنْ عادوا ثانيةً وأنزلوا جحافلهم هناک. تظهر معظم شـخصيات الرواية وأبطالها في هذه الحفلة: يوسـف، زرى، سينجر، عزت الدولة، مک ماهـون وآخرون.في الرواية يشـترى الجيش الأجنبي المؤنة من فلاحى شـيراز، لكنّ احتياجاتهـم كانـت في تزايد وكانـوا بحاجة لمؤنة أكبر، هذا الأمر يتسـبّب بمجاعة في الجنوب. في هذه الآونة يحاول يوسـف وأصدقاؤه مثل الملک رستم والملک سهراب أنْ يُطلعـوا القبائل هناک على الظروف السياسـيّة الخطـرة. في المقابل الخان كاكا وعزت الدولة يبيعون منتجاتهم الزراعيّة للأجانب، حتّى أنّهم حاولوا تشجيع يوسف على ذلک، لكنّه أبى رغم التهديدات فكان الموت مصيره. حيث يُقتل يوسـف بضربة فأس ينفذها مجهـول، وتضطر "زرى" لدفنه ليلاً بحضور أبنائهـا وخادمها وفي مقبرة غير مقبرته ومن دون الصلاة على جثمانه ، بعد أن تحولت مراسـيم تشـييع جنازته لتظاهرة صاخبة ضد السـلطات المحتلة، وإلى اصطدامٍ عنيف بين المشيّعين والمتظاهرين من جهة، وبين رجال السلطة والمرتزقة من جهة اخرى.

رمزيات ودلالاترواية سووشون

ترمز الرواية التي تُعدّ «رواية تاريخيّة واجتماعيّة وسياسـيّة» (گلشيرى، ١٣٧٦ش: ٧٧) إلـى «خفوت شـوكة الهيمنة الإيرانيّة في ظلمة ليـالى الاحتلال المضنية ومواجهة قوات التحالف البريطانيّـة.» (درى، ١٣٨٧ش: ٢٨-٢٩) كذلک يؤكّد ميرعابدينى بأنّ رواية سووشـون هي رواية رمزيّة حيث أنّ «بيت زرى هو رمزٌ للوطن الإيرانىّ وزرى هي نموذجٌ واقعي لكلّ نسـاء إيران ويوسـف ما هو إلّا مُمثّل للطبقة النيرة لذلک الوطن ومـا تمرُّ بـه عائلة زرى، يمرّ به الوطن أيضاً. غايـة إدراک زرى هو المحافظة على بيتها الصغـير ضـدّ الفتن والقلاقل لكنّ الحـرب وويلاتها تجد في النهاية طريقـاً إلى بيتها.» (ميرعابديـنى، ١٣٨٣ش: ٤٧٩) فهذه الرواية ماهي إلّا «تصوير حي ومثير من المنظور السياسيّ والاجتماعيّ والأخلاقيّ للشعب الإيرانىّ إبّان الحرب العالميّة الثانية وإحياء ذكـرى مقاومتهم واغتيال ممثلهم –يوسـف– على أيدى قوات الاحتلال.» (دهباشـي، ١٣٨٣ش: ٣١٨)

إن الروايــة تجرى من جهة بانســيابٍ روائــى ومن جهة أخرى بــدلالاتٍ رمزيّة. الرواية هى احتلال جنوبى إيران ونزول المســتعمر هناک وســعيه الحثيث لشراء المؤنة أمّا الرمزيّة فتكمن فى تجسيد الشخصيات وتعبيرها لوقائع حدثت فى الساحة الإيرانيّة. حيث صرّحت دانشــور بأنّ قتل يوسف هو رمزٌ لسقوط حكومة مصدق وهدف الرواية هو إعادة سرد مجريات انقلاب ١٩ آب-أغسطس ١٩٥٣م.

سووشــون بمعنى مأتم ســياوش، وســياوش من أبطال الملحمة الإيرانية الشــهيرة "الشــاهنامة"، وســياوش هو رمزٌ للمظلوم ومن يُقتل من دون ذنب. ورواية "سووشون "هى قاعدة انطلاق دانشــور للحركة فى مدار الواقعية والأدب النسوىّ، إذ تتجلّى فيها إيجابية دور المرأة. وقد عُدّت "سووشــون" من أفضل الروايات الفارسية، وتُرجمت إلى ســبع عشرة لغة، وتجاوز تعدد نسخها المنشورة ٤٠٠ ألف نسخة حتّى الآن، حيث يقول الدكتور شــفيعى كدكنى عنها: «تحتل رواية سووشون، إذا لم نقل المكانة الأولى، المكانة الثانية أو الثالثة فى الرواية الفارسيّة.» (آژند، ١٣٦٣ش: ٣٦٣)

كما رُويت هذه الرواية على لسان "زرى" ومن أعين زرى «إنّنا نرى فى هذه الرواية الأسرة فى قلب المجتمع والأسرة هى انعكاسٌ لتحولات المجتمع. كذلک أشارت دانشور إلى دور المرأة والنساء فى التحولات الاجتماعيّة والحروب على عكس ما كان يُروّج له بأنّ المرأة كانت مُهملة.» (ســناپور، ١٣٩١ش: ١٣٠) وبذلک أماطت دانشور اللثام عن دور المرأة الفاعل فى المجتمع، فالمرأة ليست سلعة يُنظر إليها بدونيّة، بل صوّرتها دانشور علــى أنّها أمٌّ وزوجة مناضلة هبّت بعد مقتل زوجهــا لتحمِل لواء النضال ولتعطى ابنها الســلاح ليتابع طريق والده، فمنها يتعلّم الابن المقاومة ويأبى الرضوخ والخنوع لتستمرّ الحياة ويبقى المجتمع بفضل المرأة.

إنّ تخصّص دانشــور فى الأدب الفارسىّ، وممارســتها التدريس فى الجامعات، الأمر الــذى لم يحــظ به أديب إيرانى آخر فى زمانها، قد منحها خاصيّة لقصصها لا ترى إلّا فى قلّة مــن آثار الأدباء الآخرين. وهذه الميزة تجعلها قادرة على أنْ تمســک بزمام اللغة، وتجعلها تمنح القارئ رؤية عميقة للأدب الفارسّــى. (حسينى، ٢٠١٢م: ٦٠) حيث كانت الكاتبــة قد صوّرت الرواية فى ذهنها قبل كتابتها بخمسٍ وعشــرين ســنة، حيث تؤكد

الكاتبة أنّ ذلک كان فی أثناء وجود جيش بريطانيا وقوى الحلفاء فی مدينة شيراز بين سنتَی ١٩٤٢-١٩٤٣م عندما كانت تدرس هناک فی مدرسة بريطانية، وتقول الكاتبة إنّ هذا كلّه جعلها تكتب رواية سووشون فی ذهنها منذ تلک الفترة.

كما يمكن القول بأنّ هذه الرواية هی انعكاسٌ لمؤلفتها سيمين دانشور، فشخصية "زری" كانت كشخصية سيمين دانشور متخرّجة من إحدى المدارس الأجنبيّة، كذلک تدور أحداث الرواية فی شيراز التی هی مسقط رأس سيمين دانشور. (غلامی، ١٣٨٣ش: ٤٧) فی المقابل استمدّت دانشور شخصية زوج زری، أی يوسف من شخصية زوجها الحقيقیّ، جلال آل أحمد. (اطمينانی، ١٣٨٣ش: ٤٤٥)

بشكلٍ عام استمدت دانشور موضوعات كتاباتها من الحياة الواقعية، وكانت نتاجاتها تتناسق مع واقع الحياة تناسقاًجيداً، وهی قادرة على تصوير دقائق المجتمع الإيرانی فيقصصها. ورواية سووشون هی نموذجٌ بارز لآثار الجيل الجديد من الكتّاب الإيرانيّين الذين على عكس كتّاب الروايات التاريخيّة للجيل المنصرم، «يتطرّقون للماضی القريب حتّی يوضّحوا الوضع الراهن.» (Yavari، لاتا: ٥٨٦) كما تُعدّ سووشون تصويراً للنضال الاستشهاديّ فی جوٍّ من الاستبداد والاختناق. (Spooner، ١٩٩١م: ٧)

النظرية النسويّة

«لا يوجد تعريفٌ جامع وواحد عن النسويّة» (مكاريک، ١٣٨٤ش: ٣٨٧)؛ ولكّنه رغم ذلک تُعدّ المرأة المحور الرئيس لنواة مواضيع النسويّة. يستند التعريف العام للنسويّة (Feminism) إلى الاعتقاد بأنّ المرأة لا تُعامل على قدم المساواة لأیّ سببٍ سوى كونها امرأة فی المجتمع الذی ينظم شؤونه ويُحدّد أولوياته حسب رؤية الرجل واهتماماته. وتُعتبر النسويّة حركة متعدّدة الجوانب من الناحية الثقافيّة والتاريخيّة. وقد حظيت أهدافها بتأييد فی شتّی أنحاء العالم. ويمكن تقييم مدى فعالية النسويّة إذا ما نظرنا إلى الخطاب النسویّ ومدى تفعيله فی التفكير على مستوى الحياة اليوميّة.

إنّ التعريف البسيط للنسويّة هو دراسة النساء والحركة النسويّة ليس بوصفها موضوعاً من موضوعات المعرفة ولكن بوصفها ذاتاً قادرة على المعرفة (غريفش

وأوكلاهن، ٢٠٠٨ش: ١٤٤)، كما يُعرّف معجم أوكسفورد[١] النسويّة على أنّها: «الاعتراف بأنّ للمرأة حقوق وفرص مساوية للرجل» (Fimayor، ١٩٩٩م: ٣٧٨)، أمّا معجم ويبستر[٢] فيعرفها على أنّها: «النظرية التی تنادی بمساواة الجنسَين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وتسعی كحركة سياسيّة إلى تحقيق حقوق المرأة واهتماماتها وعلى إزالة التمييز الجنسیّ الذی تعانی منه المرأة.» (الخالد، ١٩٩٦م: ٥٤) أمّا سارة جامبل[٣] فتعرّفها فی كتابها النسويّة وما بعد النسويّة بأنّها: «حركة سعت إلى تغيير المواقف من المرأة كامرأة قبل تغيير الظروف القائمة، وما تتعرّض إليه النساء من إجحاف كمواطنات على المستويات القانونيّة والحقوقيّة فی العمل والتشارک فی السلطة السياسيّة والمدنيّة.» (جامبل، ٢٠٠٦م: ١٤)

لقد وُلدت النسوية فی خضّم التفاعلات التی شهدها المجتمع الأوربی فی نهاية القرن الثامن عشر الميلادیّ، حيث كانت الثورة الفرنسية مُفجّر قضايا العدالة، الحرية، المساواة، وهنا برزت التساؤلات حول حريّة المرأة لاسيّما أنها شاركت بفعالية فی هذه الثورة لذا رأى مناصرو حقوق النساء أنّ الثورة الفرنسية ثورة غير كاملة لأنّها خدمت نصف النوع البشری، وتجاهلت النصف الآخر. كما رفضت هذه النظريات النسويّة دونية المرأة واعتبرت العمل المنزلی شكلاً من أشكال الاضطهاد والاستغلال الجنسی رغم أنّها اختلفت فيما بينها حول أُسس التفاوت بين الجنسَين وسبل تجاوزها إلاّ أنّها اتّفقت مبدئياً على تحميل النظام الأبویّ والذكوریّ مسؤولية وضع المرأة المتدنّی.

أهمّ الحركات النسويّة

النسوية الليبراليّة[٤]: التی تسعی إلى ضرورة توفير فرص متساوية لكل الجنسَين من حيث التعليم، العمل، الصحة، الحقوق السياسية، لتمكين المرأة من تحقيق ذاتها مثل الرجل.

---

١. Oxford
٢. Webster
٣. Sara Gambel
٤. Liberal Feminism

النسوية الاشتراكيّة[١]: التى ربطت دونيّة المرأة بالاستغلال الاقتصادى لقوّة عملها التى تتـم عبر التحالف بين النظام الرأسمالىّ والنظام الأبـوىّ، واعتبرت نهاية هذا التفاوت الجنسى متعلّقة بزوال النظام الطبقىّ.

النسوية الراديكاليّة:[٢] كانت النسويّة الراديكاليّة فى شقّها التحرّرى أكثر تطرّفاً لأنّها اعتبرت أنّ إشكالية التفاوت بين الجنسَين مصدر الصراع الاجتماعى ككل بفعل النظام الأبوىّ، فنادت بالقضاء على الأسرة لتحرير النساء من العمل المنزلىّ ومن الأمومة عبر التكنولوجيـا الحديثة واعطاء الأولوية لأنماط جديدة من الأسـرة الخارجة عن أصول الطبيعة. (الخولى، ٢٠٠٥م: ٢١-٢٣)

وكاتجاهٍ عام فإنّ مصطلح النسـويّة يشير إلى التفرقة بين الذكر والأنثى على أساس الدور الاجتماعىّ لكلٍّ منهمَا. وتنطلق الكتابات النسويّة من عدّة أسس، هى:

١. النسـاء فئة لا يمكن تجاهلها وحماية حقوق الإنسـان تمثل قاعدة لنسويّة تُركز على المرأة.
٢. التركيز على الدين والعرق والثقافة يشكل تهديداً لوحدة النساء فى العالم.
٣. الليبراليّة هى اللغة السياسية المثاليّة.
٤. تُعرف النظرية النسويّة بمادّيتها والماديّة هى اللغة، فاللغة هى أهم وسيلة للمقاومة السياسية وترسيخ الهوية وتأكيد مكانة ودور المرأة فى المنظومة الثقافيّة.
٥. ترفض النظرية النسويّة أنْ تكون نتاجاً لتطورات تاريخيّة وسياسيّة.
٦. النسـويّة هى وعى فكرى ومعرفى وحضارى وهى تختلف عن النسائية التى هى الوعى بالجنس وبالبيولوجيا. (موسى، ٢٠٠٨م: ١١)

يجـدر بالذكر أنّ النسـوة، نتيجة عدم الاعتناء بمؤلّفات النسـاء، اضطّرت إلى كتابة مؤلفاتها بأسماء رجالٍ. حيث اسـتفادت مارى آن إيفانس[٣] (١٨١٩-١٨٨٠م)، الروائيّة البريطانيّة فى القرن التاسع عشر الميلادىّ، من أجل التغلّب على هذه المشكلة، من اسم

١. Social Feminism
٢. Radical Feminism
٣. Mary Ann Evans

رجلٍ باسم جورج إليوت ولذلک الأمر اختارت سيمين دانشور، فى المقالات التى كانت تكتبها فى العقد السادس من القرن العشرين الميلادىّ لراديو طهران وصحيفة إيران، اسماً مستعاراً (الشيرازيّة المجهولة). (پاينده، ١٣٨١ش: ٧٤)

وإجمالاً يمكن بناءً على ما ورد تقسيم الأقاويل والحركات النسويّة إلى منهجَين: المنهج الوصفىّ والمنهج المعيارىّ. فى المنهج الوصفىّ تُبذل الجهود لمقايسة النساء من ناحية الحقوق، الشأن، والمكانة الفعليّة مع الرجال وفى المنهج المعيارىّ، يتمّ التطرق إلى ضرورة مساواة الحقوق، الاحترام، والشأن. وبالتالى، الادّعاء بأنّ الحقوق يجب أنْ تكون متساوية بين الرجال والنساء، هو ادّعاءٌ معيارى والادعاء بأنّ النساء محرومة من الحقوق، هو ادعاء وصفىّ.

أمّا ما يتعلّق بآثار دانشور، فإنّنا وبحسب تعريفنا لشخصيات الرواية النسائيّة فإنّنا بشكلٍ عام أمام منهجٍ وصفى.

الأدب النسوىّ

الأدب النسوىّ هو الأدب الذى يكون النص الإبداعىّ فيه مرتبطاً بطرح قضية المرأة والدفاع عن حقوقها دون أن يكون الكاتب امرأة بالضرورة. (أبونضال، ٢٠٠٢م: ٢٧٦) فيُعرفه بذلک البعض على أنّه: «الأدب المرتبط بحركة نصرة المرأة وحرية المرأة وبصراع المرأة الطويل التاريخىّ للمساواة بالرجل «(توفيق، ١٩٩٨م: ١٠)، بينما يعتبره البعض الآخر: «مصطلح يُستشف منه افتراض جوهر محدّد لتلک الكتابة بتمايز بينها وبين كتابة الرجل فى الوقت الذى يرفض الكثيرون فيه احتمال وجود كتابة مغايرة تنجزها المرأة استيحاءً لذاتها وشروطها ووضعها المقهور.» (برادة، لاتا: ٢٢٥) أما الفريق الثالث فيرى أنّه: «الأدب المرتبط بحركة تحرير المرأة وحرية المرأة وبصراع المرأة الطويل التاريخى للمساواة بالرجل.» (توفيق، ١٩٩٨م: ١٠)

كما يمكن تقسيم الأدب النسوىّ وِفق المراجع الأجنبيّة إلى الأدب النسوىّ من خلال مداخل ثلاثة: الأدب الذى تكتبه المرأة، الأدب الذى يُكتب عن المرأة، والأدب الذى تقرؤه المرأة؛ وبهذا يختلف مفهومنا عن أدب المرأة طبقاً للمنظور الذى ننظر إليه من

خلاله. ولكن وحسب النظرة النسائيّة، فإنّ كلّ منظورٍ من الثلاثة محدود للغاية، ولايكفى وحده لاستيعاب كلّ ما يستطيع أدب المرأة أنْ يقدّمه من رؤىً مختلفة.

بشكلٍ عام إنّ الأدب النسويّ ليس خفياً على أحد فى عصرنا الراهن وحتّى ضرورته، كذلک يُعدّ حضور النساء ووجهات نظرهم فى مؤلفاتهم أمراً مشهوداً. تقول وولف[١] فى هذا المضمار: «نحن إذا كنّا نسوة، فإنّنا نفكّر بذات أسلوب أمهاتنا. إنّ الذهاب لأخذ المساعدة من الكتّاب الرجال المرموقين لا طائل منه، لأنّ ذهنيّة الرجل تختلف مع خصوصيات المرأة نوعاً ما.» (وولف، ١٣٨٤ش: ١١٣) وتقول فى موضعٍ آخر: «إنّه لمن المؤسف إذا كتب النساء كالرجال أو عاشت كالرجال.»(المصدر نفسه: ١٢٨) دانشور أيضاً كانت تحمل هذه النظرة تجاه المرأة وجميع مؤلفاتها متأثّرة من وجهة نظرٍ أنثويّة وكانت تقول: «إن لم تكن نظرتى كذلک فهذا أمرٌ غير طبيعى.» (دقيقى، ١٣٨١ش: ٣٥) هذه النظرة النسويّة للأدب أدّت لتوصيفٍ دقيق وحميم للحياة، ولتوصيف حالات وعواطف الشخصيات النسويّة فى مؤلّفات الروائيات النسوة، من بينهم سيمين دانشور. (گويرى ورهنما، ١٣٨٢ش: ٧)

تجلّيات النظرية النسويّة فى رواية سووشون

«تناولت سيمين دانشور فى مؤلفاتها النساء والظلم الواقع عليهنّ، كذلک صوّرت مسامحتهنّ وعشقهنّ وكانت دائماً تدعوهنّ إلى الوعى والترقّى.» (پناهى‌فر، ١٣٩٣ش: ٩٣) لقد طرحت سيمين دانشور النظرية النسويّة الشرقيّة والإيرانيّة وكانت معتقدة بأنّه ينبغى تهيئة الظروف للنسوة حتّى يفتخرن بنسوتهنّ. كما أنّنا نلحظ فى طيّات رواية سيمن دانشور بأنّها صوّرت وضعية المرأة بمنهجٍ وصفى وتحدّثت عن مساواة المرأة والرجل كما ينبغى.

لذلک قرّرت دانشور نتيجة اطّلاعها على المكانة الاجتماعيّة للنسوة، ومعرفتها بالظلم الواقع على المرأة الإيرانيّة طوال التاريخ، بأنْ تخطو الخطوة الأولى بالاستعانة بالقلم فى طريق الدفاع عن حقوق النساء فى وطنها. فهى معتقدة بأنّه «لا يمكن أنْ أكون

١. Woolf

امرأة ولا أدافع عن المرأة» (محمّدی، ١٣٨٠ش: ١١٤)؛ وبالتالی، وضعت مشاكل المرأة منذ اللحظات الأولی نصب عينيها وأدغمتها فی قصصها ورواياتها. تجلّت النسويّة فی رواية دانشور وِفق ما يلی:

١) معارضة الذكوريّة

تقول دانشور: «أنا إيرانيّة كافحت وصبرت. أنا امرأة إيرانيّة عانيت من استبداد الحكومة، ومن الاستعمار الشرقیّ والغربیّ ومن التحجيمات الثقافيّة الذكوريّة والأبويّة. إنّی أتوق أكثر لمحاربة الثقافة الاستبداديّة والاستعماريّة والذكوريّة.» (مافی، ١٣٦٨ش: ٧٠) فحينما نری أنّ امرأةً تسعی للتعريف بنفسها بعبارة "أنا امرأة"، نستشف الاعتراض والنسويّة، فالرجال لم يقوموا بذلک.

وقبل أنّ تتجلّی النسويّة فی روايتها سووشون تجلّت فی حياتها الزوجيّة مع جلال آل أحمد، فهی لم ترغب بأنْ تكون سياسيّة كزوجها ولم تكن ترغب بالوقوع تحت تأثيره قائلةً: «أنا اشترطت منذ البداية علی جلال بأنّنی سأبقی سيمين دانشور وسأفعل ما أراه مناسباً....لقد بقيت سيمن دانشور ولم أصبح بتاتاً سيمن آل أحمد. أساساً إنّنی أخالف طريقة تفكير جلال... .» (دقيقی، ١٣٨١ش: ٣٦)

إضافةً إلی ذلک نری أحياناً أنّ شخصية المرأة لا تتمتّع باستقلالٍ تام وقدتجلّت أبرز هذه الحالات فی شخصية "زری"، الشخصية المحوريّة فی رواية سووشون، حيث نری فی هذه الرواية أنّ هذه الشخصية كانت قابعة تحت طياتٍ وطبقاتٍ متعدّدة من النظام الذكوریّ وتحت سيطرة وهيمنة شخصية "يوسف"؛ بحيث لم تبرز تلک النواة الحقيقيّة والجوهر الرئيسیّ لوجود "زری" من تحت هذه الطيات والقيود الاجتماعيّة والثقافيّة. (دهباشی، ١٣٨٣ش: ٣٢٧) حيث لاحظنا زری فی عدّة مواضع، من بينها: حينما أعطت حصان ابنها خسرو، إلی مبعوث الحاكم حينما جاء بطلبه، فی تلک الآونة قامت بتوبيخ نفسها لأنّها لم تقاوم ولم تُبرز نسويتها ضدّ الذكوريّة والرجوليّة: «لعنت قلبها الأحمق وفكّرت: يجب أنْ تكون النسوة البليهات مثلی.» (دانشور، ١٣٤٨ش: ٣٦)

لماذا كانت زری فی الرواية عاجزة عن أخذ حقّها أو المقاومة ضدّ الظلم «لأنّه من

المستحيل بأسلوب التربية والحياة التى ترعرت بموجبه، أنْ تقوم بأمرٍ تكون نتيجته الإخلال بالوضع الموجود.» (المصدر نفسه: ١٩٢)

أمّا زرى أيضاً فى جواب توبيخات يوسف لأنّها لم تقف بوجه مبعوث الحاكم قالت وصرّحت: «إذا أردت المقاومة، فالأولى بى أنْ أقف أولاً بوجهک أنت. هل تريد أنْ تسمع أيضاً؟ إذن اسمع! أنت سلبت الشجاعة منّى. لقد تساهلت وتسامحت معک كثيراً لدرجة أنّ التسامح أصبح من شيمى.» (المصدر نفسه: ١٢٨-١٢٩) فهنا نراها تُبيّن أنّ يوسف رمز الذكوريّة وقف أمام طموحاتها وسلب منها حقوقها النسويّة.

كما أنّنا نواجه فى رواية سووشون امرأة معترضة «كانت تكتب للمجّلات، مقالاتٍ فى الدفاع عن حقوق النساء وضدّ ظلم الرجال؛ لكنّها لم تجد آذاناً صاغية فانتهى بها المآل إلى مشفى المجانين.» (المصدر نفسه: ١٠٧) وهذا إنْ دلّ فهو يدلّ على تلميحٍ مرير لمصير اللواتى يكتبن فى مجتمعٍ ذكورى مغلق عن حقوق النساء.

كما نلاحظ فى سووشون أنّ الثقافة الذكوريّة كانت طاغية وكانت تتغلغل إلى كلّ الأماكن، حيث نرى فى سووشون نموذجاً بارزاً لذلک. هذا النموذج هو الخان كاكا، شقيق يوسف، الذى يُعلّم خسرو، ابن يوسف بأنْ لا يسمع كلام النسوة: «لا تسمع ترّهات النسوة، جميعهنّ مذعورات» (المصدر نفسه: ٦١) وقد تعلّم خسرو هذا الدرس جيداً: «لو لم تكن النسوة موجودات لأصبح الأولاد رجالاً بسرعة. النسوة يخفن بسرعة ويُخفن معهنّ الرجال.» (المصدر نفسه: ١٢٢-١٢٦) وهنا أردات دانشور أنْ تنقل لنا فضلاً عن معارضتها للذكوريّة، القول بأنّ الذكوريّة تنتقل عبر تربية الأجيال والأبناء لأبنائهم.

٢) الاعتراض على التقاليد الحاكمة على الحياة الاجتماعيّة للنساء

«الوجه المشترک فى مؤلفات النساء، هو شخصية روای القصص. القصص النسويّة تُروى عادةً على لسان امرأةٍ عاقلة وصبورة ومنفعلة؛ حيث يعكس تظلّمها وصمتها، وضعية المرأة الإيرانيّة.» (سپانلو، ١٣٨١ش: ١٢٦)

لقد كانت شخصية المرأة فى سووشون فاقدة لحقّ التمتّع بحق انتخاب زوجها، ووِفق

العادات تُرسل الفتاة إلى بيت زوجها. وكان يُنظر إليها على أنّها سلعة لا أكثر. مثال ذلک حينما رأت "عزت الدولة"، زرى فی الحمام، قامت بالإشادة بشكلها الظاهرىّ فقط «استقبلت بوجهها نور الحمام وقالت: ماشاء الله! ما أشدّ بياض هذا الجسد وما أرقّه. عيناكِ بلون التمور. لم أرَ قط امرأة بهذه العيون. إنّ الله خلقک ليُحبک القلب.» (دانشور، ١٣٤٨ش: ٢٦) فالمرأة كانت كالسلعة ومقياس تقييم المرأة هو بياض جسمها ولون عينَيها وما إلى ذلک.

كما أنّ العادات والتقاليد البالية، التی تُقيمها النسوة فی الأعراس، يدلّ على قلقٍ نسوىّ لنسوةٍ يرغبن بالذهاب إلى بيوتٍ أخرى لم يعهدوها مُسبقاً: «تمطى العروس سرج الحصان حتّى تكون دائماً ممتطية لرأس زوجها.» (المصدر نفسه: ٧)

الحل الوحيد لهذه النسوة أمام هذه التقاليد البالية هو الصبر والتحمّل، بيد أنّ زرى التی كانت رمزاً للعطاء، ومحبّة الرجل، والصبر، قد تعرّضت رغم ذلک، للّوم مِراراً من قِبل يوسف «صفع يوسف زوجته زرى وكانت هذه أوّل مرّةٍ.» (المصدر نفسه: ١١٨)

تارةً تبرز النسويّة فی اعتراضها على بعض القوانين القانونيّة والفقهيّة، حيث نرى هذه النسويّة من خلال نظرتها لحجاب النساء وأسلوب حياتهنّ: «لقد كانت زرى، الفتاة الوحيدة التی تذهب للمدرسة مرتدية الملاءة.» (المصدر نفسه: ٢٦٢)

٣) تعظيم المرأة

بذلت دانشو جهوداً حثيثة للإشادة بالمرأة. حيث كتبت فی رسالةٍ خياليّة إلى بروين اعتصامی، الشاعرة الإيرانيّة المشهورة، قائلةً: «ألستُ بامرأة؟ وهل يمكن أنْ لا نقول بأنّ المرأة هی مركز دائرة الوجود؟» (دهباشی، ١٣٨٣ش: ١١٨٣) وفی موضعٍ آخر كانت معتقدة بأنّه «إذا كانت الدنيا بشكلٍ عام بيد النسوة، فإنّ البشرية ستغدو سعيدة.» (المصدر نفسه: ٨٨٨) وفی سووشون، كانت دانشور ترى بأنّ العالم سيصبح من دون حربٍ ودماء حينما تديره النسوة: «ليت الدنيا كانت بيد النسوة، النسوة هم من أنجب؛ أی هم من خلق والقدر هو مخلوقهم. ربّما لأنّ الرجال لم يكونوا خالقين أبداً، لذلک يخوضون المعارک والحروب حتّى يخلقوا شيئاً. لو كانت الدنيا بيد النسوة، أين ستكون

الحـــروب حينها؟» (دانشـــور، ١٣٤٨ش: ١٩٣) فتعظيم المرأة والإشـــادة بها، لو كانت حاكمة وصاحبة رأيٍ فى هذا الوجود، ينمّ عن نسويةٍ جلية تدعو سيمن دانشور المجتمع إليها.

٤) استخدام اللغة الأنثويّة

فى الماضى كان الرجال يكتبون بلغة ذكوريّة للرجال أمثالهم حيث لم يكترثوا بالمرأة ولم يعتبروها قارئة لكتاباتهم ولذلک كانوا يكتبون لجنســـهم فقط وكانوا يعتبرون أفضل الكتابات ما يكون بيانه صلبٌ ورجولىّ. (احسان عباس، ١٩٩٨م: ٩)

كانـــت روبين لاكـــوف[١] (١٩٧٥م) أوّل عالمة اجتماعٍ قد طرحـــت قضية لغة الأنثى النســـويّة. فهى معتقدة بأنّ لغة النساء أدنى من الرجال لأنّها تحمل أفكاراً ضعيفة وغير حتميّـــة وتؤكّد على مواضيع غير مهمّة، وردّات أفعـــالٍ عاطفيّة. ومن وجهة نظرها لغة الرجال أقوى وأرســـخ وإذا ما أرادت النسوة تحقيق المساواة الاجتماعيّة مع الرجال، ينبغى عليهنّ أنْ يتقبّلن لغتهنّ. (ســـلدن وويدوســـون[٢]، ١٣٧٧ش: ٢٦٣) فاللغة ليســـت مجموعة من الأصوات والألفاظ بلْ تشـــتمل أيضاً على الرموز، والإيماءات، والحركات اللغويّة. كما أنّ استعمال هذه الرموز متفاوتة بين الرجال والنساء. «فى كلّ مجتمع يحظى الرجال والنســـوة بحركاتٍ وأســـاليب اجتماعيّة خاصّة بهم، على سبيل المثال أُسلوب الضحک لدى الجنسَـــين مختلف على نحوٍ جلى بينهما. هذا النوع من التفاوت لا يجذب الانتبـــاه فى الحالة العاديّة بيد أنّه يتجلّى هذا بوضوح حينما يمشـــى رجلٌ كالنســـاء أو يضحک مثلهنّ.» (مدرسى، ١٣٨٧ش: ١٦١)

الأمثلة على اللغة النســـويّة فى سووشـــون عديدية نذكر منها: «بُغتةً نهضت من على كرســـيّها ولكمت بيدٍ محكمة على بطنها وقالت: يا ليت الذى فى أحشـــائى يســـقط هذه الليلة..» (دانشور، ١٣٤٨ش: ١٣٠)

«صفعـــت عمتى وجهها وقالـــت: أعوذ بالله! إنّه لعصر آخـــر الزمان. ومن ثمّ ارتدت بسرعة ملاءتها.» (المصدر نفسه: ٥٥)

١. Robin Lakoff

٢. Raman Selden, Peter Widdowson

«كنت أبكی وأتضرع والدموع تسيل على وجنتَی وأقول أُسامحک بمهری، فقط طلّقنی واتركنی.» (المصدر نفسه: ٩١)

«الآن قسماً بحياتی، قل كيف أصبح.» (المصدر نفسه: ٢١٨) «أماتنی الله، لقد دمّرت نفسک.» (المصدر نفسه: ٢٧٧) فالأمثلة المذكورة آنفاً عن اللغة النسويّة تجسّدت فی ألفاظٍ ومفرداتٍ قلّما يستخدما الرجال، بينما تُكثر النسوة من استخدامها، من قبيل: «أعوذ بالله!»، «أُسامحک بمهری، فقط طلّقنی واتركنی»، «الآن قسماً بحياتی»، «أماتنی الله، لقد دمّرت نفسک».

فضلاً عن اللغة، تختلف أنواع جمل النساء والرجل عن بعض. حيث أنّنا لا نشاهد فی كتابات النساء تأكيدات حتميّة كالوجوب أو الافتراض. (محمدی أصل، ١٣٨٩ش: ٩١) بينما كانت الجمل فی روایة سووشون استفهاميّة ومتقطّعة ومتردّدة وهذا إنّما يدلّ على الشکّ والترديد القابع فی شخصية زری بشكلٍ خاص وفی الشخصيّة النسويّة بشكلٍ عام، على سبيل المثال: «ربّما كنتُ جبانة منذ البداية ولا أعرف.» (دانشور، ١٣٤٨ش: ١٣٠) «لم أتشجّع على المحافظة عليه.» (المصدر نفسه: ١٣٠)«ماذا أفعل حتّى أرضيک؟ ماذا أفعل حتّى أغدو شجاعة.» (المصدر نفسه: ١٣١)

٥) الأمومة

لقد كان حسّ الأمومة متسرّباً إلى جميع طيّات صفحات روایة سووشون. حيث أنّ أحّد اختلافات آثار النساء والرجال يكمن فی عواطف الأمومة هذه. لقد كانت زری تعكس عاطفة الأمومة تجاه أولادها فی قالب كلماتٍ وجملاتٍ مختلفة عن يوسف بشكلٍ خاص والرجال بشكلٍ عام. حتىّ أنّ هذه الكلمات كانت أيضاً تجاه ابنة الحاكم التی كانت تكرهها «لا تعلم زری هل تفرح أم تحزن؟ فابنة الحاكم على أيّة حال هی ابنةٌ لأمٍّ قد عانت من أجلها. إنّ الفرس سحر لا يرمی ممتطيه.» (المصدر نفسه: ١٣٩)

كما أنّ الأمومة هی معيارٌ بارز للنسويّة والأنثويّة رغم الآلام التی تتكبّدها النسوة أثناء الإنجاب «إنّ الأمومة وإنجاب الأطفال، كما يقول الرجال، هی أكثر تجارب النساء رضیً. بهذا المعنى يُخفی إنجاب الطفل آلام وصعوبات الإنجاب.» (مؤمنی، سيف

اللهى، ١٣٨٧ش: ٦٨) فحينما ننظر إلى روايتها سووشون نرى بأنّها كانت مُحبّة لعواطف الأمومة ونظرتها تجاه هذا الأمر أسمى من أنْ يجبرها الرجل على ذلک. فالمرأة تملک أعظم سهم فى تربية الأبناء وهى مربية للأجيال، حيث أكّدت زرى ذلک فى موضعَين: «مُعظم حياتى انقضت هكذا؛ كلّ يوم أجلس خلف عجلة البئر وقد أدرت روال الحياة ورويت المياه بالماء. لا أستطيع أنْ أرى أحداً يركلهم.» (دانشور، ١٣٤٨ش: ١٢١-١٣٠)

كذلک تجلّى حسّ الأمومة فى فراق زرى لابنها خسرو، حيث ذهب خسرو لاستعادة الفرس من حديقة الحاكم وقد خشيت زرى أنْ يكون ابنها قد وقع فى أيدى الحرس أو قاموا بقتله «قالت زرى: اذهب أنت (يوسف)، أنا سأجلس هنا، إنْ لم تحضر ابنى سأموت هنا. سأضع رأسى على الحجر وأموت. الخان كاكا (شقيقى يوسف) أرغمنا على إرسال سحر (اسم الحصان) إلى ابنة الحاكم. اعتقد أنّ خسرو (ابن زرى ويوسف) ذهب ليسرق سحر من حديقة الحاكم.» (المصدر نفسه: ١١٧-١١٨)

٦) الدفاع عن حقوق المرأة

لقد كانت المرأة الإيرانيّة لأسبابٍ أُسريّة واجتماعيّة تتحمّل مشقّات الحياة وتتهاوى أمام التحقير. لذلک انبرت دانشور لإبراز المرأة بدور المبارزة والمدافعة عن حقوقها ومصيرها، إلّا أنّ هذه المبارزة والمدافعة لا تتمّ عبر حمل السلاح لمقاومة الاحتلال الأجنبيّ. فالمرأة الوحيدة فى سووشون والتى سعت للدفاع عن حقوق الناس ضدّ ظلم الرجال عبر الكتابة، هى فتوحى، حيث امتشقت قلمها دفاعاً عن النساء «السيدة فتوحى حينما كانت عاقلة، كانت كتاباتها رائعة وكانت تكتب مقالاتٍ حول حقوق المرأة وضدّ مظالم الرجل فى الصحف المحليّة. الصحف التى تدعو النسوة إلى الصحوة.» (المصدر نفسه: ١٠٧)

٧) شجاعة وشهامة المرأة

المرأة فى سووشون كانت نموذجاً للشهامة. فرغم أنّ زرى كانت فى بداية الرواية تدعو زوجها للتسامح وعدم جرّ النزاع إلى بيتها، تحوّلت شخصيتها بفقدانها ليوسف، ولم تعد

ترى دليلاً للقلق والتسامح. فهاهی تقف وتقاوم وكأنّها كانت مكّبلة بالقيود وتسّلحت بعد موت يوسف بأسلحةٍ أرادت دانشور تسليحها بها: «كانت زرى مثل الحمامة التی أُطلق سراحها من القفص. كان يجول فی ذهنها عالمٌ من الأسرار والآمال. حيث أضاءت فی ذهنها آلاف النجوم وليس نجمة واحدة. إنّی أعلم أنّها لن تخشَ من أیّ شخصٍ فی العالم.» (المصدر نفسه: ٢٨٦) لقد وقفت زرى بشجاعة وشهامة تامّة فی مواجهة الخان كاكا وكانت تنظر إلی القضايا بوعیٍ تام وهی مطمئنة «تأمّلت زرى فی وجه الخان كاكا وقالت: اليوم توصّلت إلی هذه النتيجة بأنّه ينبغی فی الحياة أنْ أكون شجاعة...لكنْ للأسف وصلت لهذه الفكرة متأخراً .....لقد اتّقدت الأضواء فی ذهن زرى وهی تعلم أنّه لا يستطيع أحدٌ فی هذا الدنيا بأنْ يُخمد هذه الأنوار.» (المصدر نفسه: ٢٩٢)

كما تجلّت أيضاً شجاعة المرأة فی سووشون عبر شخصية زرى، التی كانت تُدارى أبناءها وكانت تخشی من اقتراب ابنها خسرو من أسوار بيت الحاكم، إلّا أنّها اليوم تقوم بتسليحه وإعطائه البندقيّة ليقف فی وجه المخاطر: «قالت زرى: كُنت أريد تربية أبنائی بمحبّة وفی محيطٍ هادئ. أمّا اليوم فأنا أكبر مع الحقد، وسأعطی البندقيّة لابنی خسرو.» (المصدر نفسه: ٢٥٢)

كما أنّنا نلحظ فی شجاعة زرى فی سووشون، سعيها الحثيث فی متابعة النضال بعد موت زوجها يوسف برصاصة حقدٍ. لقد سعت دانشور أيضاً إلی إبراز الشجاعة النسويّة علی أنّها لا تقلّ عن شجاعة الرجال وفی بعض الأحيان اعتبرتها امتداداً لها: «قالت زرى: لكنّنی لستُ نادمة. لا ينبغی كما قال يوسف، أنْ تبقی مدينة خالية وخاوية من الرجال.» (المصدر نفسه: ٣٠٣)

النتيجة

لقد كانت رواية سووشون من أكثر الروايات الإيرانيّة انتشاراً وقراءةً فی المحافل الأدبيّة، كما كانت محطّ بحثٍ ودراسةٍ للعديد من النقّاد والدارسين فی إيران وخارجها. حيث استمدّت دانشور شخصية البطلة الأنثی فی روايتها من حياتها الواقعيّة، فشخصية زرى كانت رمزاً لنساء إيران وكان يوسف رمزاً لطبقة المثقّفين المناضلين وكان بيتها

رمزاً لإيران.

كذلـک لاحظنا وجـود ارتباطٍ وثيـق فی الرواية بين السياسـة والاجتماع، حيث شـرحت دانشور بإسهابٍ أحداث جميع شرائح المجتمع بدقّة بالغة وبنظرة أنثويّة ورؤية مختلفة، فهی جمعت بين العمل السياسّـی والعمل الأسریّ معاً، كما جمعت بين الكفاح فی المنزل والنضال ضدّ المستعمر.

أيضاً تبيّن لنا أنّ المرأة كانت فی طيّات الرواية مهمّشة ومظلومة، لذا انتفضت دانشور لتوعية المرأة وتكرار الأحداث التاريخيّة لتتعمّق الفكرة لدى جميع النسوة بأنّهنّ سينتصرن لا محالة. وقد تجلّی ذلک فی استدعاء دانشور للنسويّة فی جميع نزاعات الرواية، فـزری المهمّشـة والخانعة كانت ترى وتلمس كلّ شـیء عن قرب ووقوفها إلى جانب زوجها المقاوم يعنی وقوف دانشور مع الشعب ومع جميع النسوة ضدّ الظلم وعدم المساواة.

لقد كان الصوت النسـویّ الأعلى، بلْ الوحيد، فی بدايات القصّة والرواية الإيرانيّة هو صوت سيمين دانشور التی استطاعت أنْ تلج إلى جميع خبايا المجتمع والسياسة بآنٍ واحد وأنْ ترفع الصوت عالياً لتلفت انتباه نظيراتها النسـوة وتحثهنّ على أداء وظيفتهنّ فی المجتمع، فهنّ قد قدّمن من التضحيات فی المجتمع والمنزل مثل الرجال بلْ ربّما أكثر.

كانت دانشور معتقدة بأنّ الذكوريّة تغلغلت إلى العقليّة الإيرانيّة، حيث كانت نتيجتها تهميـش وتقوقع المـرأة، وإحدى طُرق تبديـد هذه العقليّة، هو تعظيم وتبجيل النسـاء ومنحهنّ حقوقهنّ. كما كانت ترى أنّ الحياة ستكون أكثر انسجاماً حين تتحقّق المساواة بين الرجل والمرأة.

المصادر والمراجع

آژند، يعقوب. (١٣٦٣ش). ادبيات نوين ايران. تهران: امير كبير.

أبونضال، نزيه. (٢٠٠٢م). تمرد الأنثى فی الإبداع النسـوی العربی: ملخص أبحاث مؤتمر المرأة العربية والإبداع. المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة.

إحسان عباس، عبد الحميد. (١٩٩٨م). ما تبقى من رسائله. الأردن. عمان: دار الشروق.

اطمينانی، عباس. (١٣٨٣ش). بررسی وتحليل رمان سووشون. تحرير: على دهباشی. تهران: سخن.

برادة، محمد. (لاتا). المرأة العربية و الإبداع المكتوب. ملخّص أبحاث مؤتمر المرأة العربية.

پاینده، حسین. (١٣٨١ش).«سیمین دانشور: شهرزادی پسامدرن»، کتاب ماه ادبیات. شماره ١٥. صص٥٧-٨٢.
پناهی فر، سیمین. (١٣٩٣ش).«بزرگداشت سیمین دانشور». کتاب ماه ادبیات. شماره ٨٤. صص٩١-٩٣.
توفیق، أشرف. (١٩٩٨م). اعترافات نساء أدیبات. الطبعة الأولی. القاهرة: دار الأمین.
جامبل، سارة. (٢٠٠٦م). النسویة وما بعد النسویة. ترجمة أحمد الشامی. الطبعة الأولی. لامک: المجلس الأعلی للثقافة.
حسینی، شکوه السادات. (٢٠١٢م). «روّاد القصة القصیرة فی إیران وسوریه؛ دراسة مقارنة». مجلّة العلوم الإنسانیّة الدولیّة. العدد ١٩. صص٥١-٦٦.
الخالد، کورنیلیا. (١٩٩٦م). «الکفاح النسوی حتی الآن: لمحة عن النظریتین النسویّة الأنجلو-أمیرکیة والنسویة الفرنسیة». مجلّة الطریق. العدد الثانی. صص ٥٤-٩٦.
الخولی، یمنی طریف. (٢٠٠٥م). «النسویّة وفلسفة العلم». مجلّة عالم الفکر. الکویت. العدد ٢. المجلد ٣٦. صص٢١-٢٣.
دری، زهرا. (١٣٨٧م). «مدینه فاضله در سوشوون». رشد آموزش زبان وادب فارسی. شماره ٨٥. صص٢٦-٢٩.
دانشور، سیمین. (١٣٤٨ش). سووشون. تهران: خوارزمی.
دقیقی، مژده. (١٣٨١ش).«سرگردانی یک جیرهی همگانی است». مجلّه زنان. شماره ٨٦. صص٣٢-٣٦.
دهباشی، علی. (١٣٨٣ش). بر ساحل جزیره سرگردانی: جشن‌نامه سیمسن دانشور. تهران: سخن.
ذوالقدر، فاطمة. (٢٠١١م).«شخصیة المرأة فی الأدب الکویتی الحدیث». مجلّة العلوم الإنسانیّة الدولیّة للجمهوریة الإسلامیّة الإیرانیّة. السنة ١٨. العدد ١٨. صص٣٠-٣٦.
زادهوش، محمّد رضا. (١٣٩٠ش). جشن نامه دکتر سیمین دانشور. اصفهان.
سلدن، رامان وپیتر ویدوسون. (١٣٧٧ش). راهنمای نظریه‌ی ادبی معاصر. مترجم: عباس مخبر. چاپ دوم، ویرایش سوم. تهران: نشر طرح نو.
سناپور، حسین. (١٣٩١ش). «نقد رمان سووشون سیمن دانشور». کتاب ماه وادبیات. شماره ٦٣. صص١٢٩-١٣١.
غریفش، مارتنوتیری أوکلاهن. (٢٠٠٨م). المفاهیم الأساسیة فی العلاقات الدولیة. ترجمة مرکز الخلیج للأبحاث. دبی: مرکز الخلیج للأبحاث.
غلامی، تیمور. (١٣٨٣ش). «سیمای سیمین اهل قلم». رشد آموزش زبان وادب فارسی. شماره ٦٦. صص٤٠-٤٧.

فقهی زاده، عبد الهادی. (١٣٧٨ش). نقش وجایگاه زن در حقوق اسلامی. چاپ اول. تهران: نشر میزان.
فوزی، محمود. (١٩٨٧م). أدب الأظافر الطویلة. مصر: دار نهضة مصر.
گلشیری، هوشنگ. (١٣٧٦ش). جدال نقش با نقاش در آثار سیمین دانشور. تهران: نیلوفر.
گویری، شوزان ورهنما، تورج. (١٣٨٢ش). در آستانه فصل سرد. چاپ ٢. تهران: روشنگران ومطالعات زنان.
مافی، مریم. (١٣٦٨ش). «صورت خانه دانشور». مجله نشر دانش. شماره ٥. دوره ٩. صص٧٠-٧٢.
محمدی اصل، عباس. (١٣٨٩ش). جنسیت وزبانشناسی اجتماعی. تهران: گل آذین.
محمدی، سایر. (١٣٨٠ش). هر اتاقی مرکز جهان است. تهران: انتشارات آ گاه.
مدرسی، یحیی. (١٣٨٧ش). درآمدی بر جامعه‌شناسی زبان. چاپاول، تهران: نشر پژوهشگاه علوم انسانی ومطالعات فرهنگی.
مکاریک، ایرناریما. (١٣٨٤ش). دانشنامه نظریه‌های ادبی معاصر. مترجم: مهران مهاجر ومحمد نبوی. تهران: نشر آگاه.
موسی، غادة علی. (٢٠٠٨م). حقوق المرأة فی خطاب المؤسسات النسویة العربیة. قطر: لانا.
مؤمنی، مریم وسیف اللهی، حسین. (١٣٧٨ش). «زبان وجنسیت». مجله بازتاب اندیشه. شماره ٩٦. صص٦٦-٧١.
میرعابدینی، حسن. (١٣٨٣ش). صد سال داستان نویسی. تهران: چشمه.
وولف، ویرجینیا. (١٣٨٤ش). اتاقی از آن خود. مترجم: صفورا نور پخش. چاپ ٢. تهران: نیلوفر.
Fimayor, Sali (1999) Oxford, oxford university press, New york.
Hillmann, Michael (1988) Persian Prose Fiction: An Iranian Mirror and Conscience, inEhsan Yarshater, Persian Literature.
Sprachman, Paul (1933) International Journal of Middle East Studies.
Spoone, Brian (1991)Introduction in A Persian Requiem, London.